

حَيَوِيَّةُ الْخَطَابِ الشُّعْرَةَ عِنْدَ السِّيَابِ
والقَصِّ، لَا يَقْوَى عَلَى إِقَامَةِ أَصْوَاتٍ أُخْرَى تَتَاوَأَتْهُ وَتَتَوَسَّعُ عَالَمُهُ الْمَتَمَسِّكُ. لَا يَبْعَدُ
قَيْدَ أَنْمَلَةٍ عَنِ تَجْرِبَتِهِ الشَّخْصِيَّةِ وَلَا يَمْضِي مَعْنَى فِي تَمَثُّلِ الْآخِرِ التَّابِعِ خَلْفَ
ضَمِيرِ الْمُتَكَلِّمِ. إِنَّهُ يَثِيرُنَا وَبِمَتْعِنَا جَمَالِيًّا بِقَدْرِ مَا يَصْدُقُ فِي تَمَثُّلِ حَالَاتِهِ وَإِتْقَانِ
مَحَاكِيَاتِهِ، الْأَمْرَ الَّذِي يَنْجِحُ فِي دَفْعِنَا لِاسْتِحْضَارِهَا وَإِعَادَةِ إِنتَاجِهَا بِمَا يَقَابِلُهَا فِي
طَفُولَتِهَا. هَذِهِ النُّظَائِرُ الْمَشْعَّةُ لِلتَّجْرِبَةِ الْمَسْرُودَةِ تَمَثُّلُ الْفَضَاءِ الْحَافِ الْوَحِيدِ
بِالنَّصِّ، فَتَتَمَدَّدُ الذِّكْرِيَّاتُ بَارْتِيَّاحًا عَلَى صَفْحَتِهِ دُونَ كَثَافَةٍ أَوْ تَكْدَسُ؛ إِنَّهَا تَرَى فِي
اتِّسَاقٍ طَبِيعِيٍّ مَنْغُومٍ :

زَهْرَاءُ، أَنْتِ .. أَتَذْكُرِينَ

تَتَوَرَّنَا الْوَهَّاجَ تَرْحَمُهُ أَكْفَ الْمُصْطَلِينَ؟

وَحَدِيثَ عَمَّتِي الْخَفِيضِ عَنِ الْمُلُوكِ الْغَابِرِينَ؟

وَوَرَاءَ بَابِ كَالْقَضَاءِ

قَدْ أَوْصَدْتَهُ عَلَى النِّسَاءِ

أَيْدٍ تَطَاعُ بِمَا تَنْشَاءُ، لِأَنَّهَا أَيْدِي رِجَالٍ

كَانَ الرِّجَالُ يُعْرَبُونَ وَيَسْمُرُونَ بِلَا كِلَالٍ.

أَفْتَذْكُرِينَ؟ أَتَذْكُرِينَ؟

سَعْدَاءُ كُنَّا قَانِعِينَ

بِذَلِكَ الْقِصَصِ الْحَزِينِ، لِأَنَّهُ قِصَصُ النِّسَاءِ

حَشَدٌ مِنَ الْحَيَوَاتِ وَالْأَزْمَانِ، كُنَّا عِنْفَوَانَهُ

كُنَّا مَدَارِيهَ الَّذِينَ (إِنْدَاحِ) بَيْنَهُمَا، كِيَانَهُ

أَفَلَيْسَ ذَلِكَ سِوَى هَبَاءٍ؟

حَلْمٌ وَدَوْرَةٌ أَسْطَوَانَهُ؟

إِنْ كَانَ هَذَا كُلُّ مَا يَبْقَى فَأَيْنَ هُوَ الْعِزَاءُ؟